مفهوم النجاة والخلاص
في الأديان السماوية
- دراسة عقدية وأنثروبولوجية -

The concept of salvation and deliverance in the heavenly religions (a doctrinal and anthropological study)

م.م. علي باسم جمعة
جامعة واسط - كلية التربية الأساسية
Assistant Lecturer: Ali Bassem Jomaa
University of Wasit, College of Basic Education
Ali.Bassem@uowasit.edu.iq

ملخص

يتناول هذا البحث مفهوم النجاة والخلاص في الأديان السماوية، من خلال دراسة مقارنة تركّز على البُعدين العقدي والأنثروبولوجي. يستعرض البحث التعريفات المختلفة للنجاة والخلاص في اليهودية والمسيحية والإسلام، ويحلل مواقف كل دين من شروط الخلاص، مثل الإيمان، الأعمال الصالحة، التوبة، والفداء. كما يتناول البحث البُعد الأنثروبولوجي لهذا المفهوم من خلال دراسة تأثيراته الاجتماعية والثقافية، وطرائق تمثيله في الطقوس والعادات الدينية، وتطوره عبر الزمن في المبحث الثاني، يعرض البحث اختلافات وتوافقات النجاة والخلاص داخل المذاهب الإسلامية، مع التركيز على الفروق العقدية والفقهية بين المذهب السني والشيعي، بالإضافة إلى تمثيلات هذه المفاهيم في الثقافة الشعبية والطقوس الدينية. ويُبرز البحث كيف أن مفهوم النجاة والخلاص يتجاوز الجانب الروحي ليشمل الأبعاد الاجتماعية والثقافية، مؤثرًا بذلك في بناء الهوية الدينية والعلاقات المجتمعية.

توصل البحث إلى أن مفهوم النجاة والخلاص، رغم اختلاف تفاصيله بين الأديان والمذاهب، يشترك في جوهره في التركيز على العلاقة بين الإيمان والعمل الصالح كطريق للفوز بالخلاص، مع تأثيرات واضحة على السلوك الفردي والجماعي. كما يشدد البحث على أهمية الحوار الديني والتفاهم بين مختلف الطوائف لتعزيز التعايش والاحترام المتبادل.

الكلمات المفتاحية : النجاة، الخلاص، الأديان السماوية، المذاهب الإسلامية، الفكر العقدي، البعد الأنثروبولوجي

Abstract:

This research addresses the concept of salvation and deliverance in the Abrahamic religions and Islamic doctrines through a comparative study focused on doctrinal and anthropological dimensions. It explores the various definitions of salvation and deliverance in Judaism, Christianity, and Islam, analyzing each religion's position on the conditions for salvation—such as faith, good deeds, repentance, and atonement. The study also delves into the anthropological dimension by examining the social and cultural impacts of these concepts, their representation in religious rituals and practices, and their historical development.

In its second section, the research highlights the differences and similarities in the understanding of salvation and deliverance within Islamic doctrines, with a particular focus on theological and jurisprudential distinctions between Sunni and Shia schools of thought. It also investigates how these concepts are reflected in popular culture and religious rituals. The study emphasizes that the notion of salvation transcends its spiritual domain to encompass social and cultural dimensions, influencing religious identity formation and communal relations.

The research concludes that, despite the differences in details among religions and sects, the concept of salvation and deliverance shares a core focus on the relationship between faith and righteous deeds as the path to salvation. It also underscores the importance of interfaith dialogue and mutual understanding among different sects to promote coexistence and mutual respect.

Keywords: Salvation, Deliverance, Abrahamic Religions, Islamic Doctrines, Doctrinal Thought, Anthropological Dimension.

التمهيد

تُعدّ مفاهيم النجاة والخلاص من أبرز المفاهيم الدينية التي شكّلت محورًا أساسيًا في الفكر العقدي والسلوك الديني لدى أتباع الأديان والمذاهب المختلفة، إذ تتصل هذه المفاهيم اتصالًا وثيقًا بتصور الإنسان عن مصيره النهائي، وعلاقته بالخالق، وسُبل نجاته من العذاب أو الضياع الروحي، والوصول إلى الخلاص الأبدي. وقد أولت الأديان الإبراهيمية – اليهودية، والمسيحية، والإسلام – اهتمامًا بالغًا بفكرة النجاة والخلاص، فكانت حاضرة في نصوصها التأسيسية، ورافقت تطور منظوماتها العقدية والتشريعية.

وتتفاوت هذه الديانات، وكذلك المذاهب الإسلامية المتفرعة عن الإسلام، في تفسيرها للنجاة وشروط تحققها، بين من يربطها بالإيمان فقط، أو بالأعمال، أو بالاصطفاء الإلهي، أو بالتوبة والشفاعة، مما يجعل هذا المفهوم موضوعًا خصبًا للدراسة المقارنة، من منظور عقائدي، يكشف عن اختلاف المرجعيات العقدية، ومن زاوية أنثروبولوجية، تبرز انعكاسات هذه المفاهيم على السلوك الجمعي، والطقوس، وبنية المجتمع الديني.

ومن هنا نبين المدلول اللغوي والاصطلاحي لمفردات البحث :

١- النجاة

الخلاصُ من الهلاك. يُقال: «نَجا فلان» أي خلص وسلم.(١)

النجاة هي السلامة من العذاب في الدنيا أو الآخرة، وتتحقق بالإيمان الصادق والعمل الصالح في منظور العقيدة الإسلامية.(٢)

٢- الخلاص

التحرر أو الانفكاك من شيء ضار أو مُهلك.(٣)

الخلاص مصطلح لاهوتي يشير في اليهودية والمسيحية إلى الخلاص من الخطيئة الأزلية أو العقوبة الإلهية، ويتم غالبًا عبر الفداء أو الطاعة أو الشفاعة، أما في الإسلام فهو مرتبط بتحقيق

(١) ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (ن ج و)
(٢) الزبيدي، تاج العروس، مادة (ن ج و)؛ الغزالي، إحياء علوم الدين.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة (خ ل ص).

التوحيد والنجاة من النار.[1]

٣- الأنثروبولوجيا

الأنثروبولوجيا: علم يدرس الإنسان من جوانبه الثقافية والاجتماعية والسلوكية، ويهتم بطقوسه، ومعتقداته، وتمثلاته الرمزية، وعلاقته بالدين والأسطورة.[2]

(١) دائرة المعارف الإسلامية؛ وعبد الله دراز، دستور الأخلاق في القرآن.
(٢) عبد الحميد مدكور، علم الإنسان: الأنثروبولوجيا.

المقدمة

يشكّل مفهوم النجاة والخلاص جوهر التجربة الدينية لدى الإنسان، إذ يعبّر عن أسمى تطلعاته الوجودية في الوصول إلى الطمأنينة الروحية والنجاة من العذاب في الحياة الآخرة. ولأن الدين في جوهره محاولة للإجابة عن أسئلة المصير والمآل، فقد احتلّ هذا المفهوم مكانة مركزية في العقائد الدينية، لا سيما في الأديان الإبراهيمية، التي قدّمت تصورات متباينة – أحيانًا متقاطعة وأحيانًا متباعدة – عن طبيعة النجاة، وشروط تحققها، ودور الإنسان والإله فيها.

في اليهودية، ارتبط الخلاص غالبًا بمفهوم الاختيار الإلهي لشعب معين، بينما تجلى في المسيحية من خلال عقيدة الفداء والخلاص بالمسيح، أما في الإسلام فقد اقترن بتحقيق التوحيد والعمل الصالح، مع تنوع في التأويل بين المذاهب الإسلامية حول العدالة الإلهية، الشفاعة، القدر، ودور الإمام أو الولي في تحقيق النجاة. وهذا التنوع يعبّر عن اختلاف في المنطلقات العقدية والرؤى حول علاقة الإنسان بالله، ومسؤوليته الأخلاقية، ومكانة النص الديني في توجيه السلوك.

ولا يقتصر حضور مفهوم النجاة والخلاص على الجوانب النظرية أو العقدية فقط، بل يمتد إلى المجال الأنثروبولوجي، حيث تنعكس هذه التصورات في الطقوس الدينية، والشعائر، والممارسات اليومية، وتؤثر في تشكيل الهوية الجماعية والمخيال الشعبي. فالخلاص ليس مجرّد فكرة ميتافيزيقية، بل هو قوة محركة للسلوك الجمعي والديني، وقد يكون أداة للضبط الاجتماعي أو للتمايز الطائفي.

وانطلاقًا من هذا التصور، يسعى هذا البحث إلى دراسة مفهوم النجاة والخلاص في الأديان الإبراهيمية والمذاهب الإسلامية، من خلال مقاربة مزدوجة تجمع بين التحليل العقدي المقارن، والنظر الأنثروبولوجي في تجليات هذه المفاهيم في الحياة الدينية للمجتمعات. ويهدف إلى الكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف بين هذه التصورات، ومدى تأثيرها في بناء المنظومة الدينية والروحية للمؤمنين بها.

اهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في كونه يتناول أحد المفاهيم المحورية في الفكر الديني، وهو مفهوم النجاة والخلاص، الذي يُعد أساسًا لتصور الإنسان عن مصيره الأخروي وصلته بالخالق،

كما أن البحث يقدّم مقاربة مقارنة بين الأديان الإبراهيمية والمذاهب الإسلامية، مما يُسهم في توضيح أوجه الاتفاق والاختلاف في الرؤى العقدية تجاه هذا المفهوم، ويمنح الدراسة بعدًا علميًا ومعرفيًا عميقًا. وتمتد الأهمية أيضًا إلى الجانب المنهجي، حيث يجمع البحث بين البعدين العقدي والأنثروبولوجي، فيرصد انعكاسات المفهوم لا في الفكر النظري فحسب، بل أيضًا في الطقوس والسلوك الجمعي، وهو ما يضيف بعدًا تطبيقيًا للدراسة. كما يُعد البحث مساهمة مهمة في ميدان الدراسات الدينية والمذهبية، ويُسهم في تعزيز ثقافة الحوار والتفاهم بين أتباع الأديان والمذاهب من خلال تسليط الضوء على تنوع التصورات وتعدد أبعادها.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة هذا البحث في التعدد والتباين الكبير في فهم وتفسير مفهوم النجاة والخلاص بين الأديان الإبراهيمية والمذاهب الإسلامية، حيث تختلف الرؤى حول طبيعة النجاة، وشروط تحققها، والعلاقة بين الإيمان والعمل، ودور الإله والإنسان والشفاعة في الوصول إلى الخلاص، مما يطرح إشكالية معرفية وعقدية تتطلب دراسة تحليلية ومقارنة دقيقة. كما تنبع المشكلة من عدم وضوح الفروق الدقيقة بين التصورات العقدية من جهة، وتجلياتها في الحياة الاجتماعية والطقوس الدينية من جهة أخرى، وهو ما يستدعي ربط البعد العقدي بالفهم الأنثروبولوجي لهذا المفهوم، بهدف الكشف عن كيفية تمثّله داخل كل منظومة دينية ومذهبية، وأثره في تشكيل الوعي الديني والهوية الجماعية لأتباعها.

هدف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحليل مفهوم النجاة والخلاص في الأديان الإبراهيمية (اليهودية، والمسيحية، والإسلام) والمذاهب الإسلامية المختلفة، من خلال دراسة مقارنة تُبرز الأبعاد العقدية التي يقوم عليها هذا المفهوم في كل دين ومذهب، وتسعى إلى توضيح أوجه الاتفاق والاختلاف بينهم. كما يهدف إلى استكشاف البعد الأنثروبولوجي المرتبط بهذا المفهوم، عبر تتبّع تجلياته في الطقوس والممارسات والشعائر، وتحليل أثره في تشكيل البنية الفكرية والهوية الدينية والاجتماعية لأتباع هذه الديانات والمذاهب، وذلك في إطار منهجي يجمع بين الدراسة النظرية والتحليل الثقافي والسلوكي.

منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج المقارن بوصفه الأداة الأساسية في تحليل مفهوم النجاة والخلاص بين الأديان الإبراهيمية والمذاهب الإسلامية، وذلك من خلال تتبع أصول هذا المفهوم

في النصوص الدينية والعقائدية لكل دين ومذهب، ومقارنة مضامينها وتحليل أوجه التشابه والاختلاف بينها. كما يُوظَّف المنهج التحليلي في دراسة المقولات العقدية وتفكيكها لفهم أسسها الفكرية واللاهوتية، بالإضافة إلى الاستعانة بالمنهج الأنثروبولوجي لفحص انعكاسات هذه التصورات على الطقوس الدينية والممارسات الاجتماعية والسلوك الجماعي، بما يسمح بربط الفكر العقدي بالواقع الثقافي والمعيشي للمجتمعات الدينية المدروسة.

الدراسات السابقة

١. ناصر محمد معروف (٢٠٠٩) ، النجاة في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية

الدراسة تناولت مفهوم النجاة لغةً واصطلاحًا، واستعرضت توظيفه في القرآن (مكيًا ومدنيًا). قسّمت النجاة إلى قسمين:

- نجاة القلوب (إيمان، نية، صبر)
- نجاة الجوارح (صلاح، ذِكر، استغفار)
- كما عرضت أنواع النجاة في الدنيا والآخرة؛ ودراسة أقسام «الناجين» حسب الأمم والأنبياء وصفاتهم وترتيبهم في الآخرة

٢. محمد سعيد أبيلا (٢٠٠٨) ، الوحدانية في الأديان السماوية: دراسة مقارنة تحليلية

ركزت الرسالة على مقارنة مفهوم التوحيد في اليهودية والمسيحية والإسلام من منظور القرآن والسنة، مع نقد ألوهية المسيح ومنطق التثليث. وقد خلصت إلى أن نصوص التوراة والإنجيل هيحية أما بعد انحرافها فهي تخالف التوحيد المستقيم، في حين يبقى الإسلام حافظًا على نقاء العقيدة

٣. إيمان بن أحمد (٢٠١٩) ، الرؤية الخلاصية بين الوحدة والتعدد في الأديان السماوية

تستعرض المقالة ظاهرة انتظار المخلص (المهدي أو المسيح) في اليهودية والمسيحية والإسلام، وتناقش كيف تطورت هذه العقيدة عبر التاريخ وثبتت عاملًا موحدًا أو مفصّلًا حسب الأديان. كما تبحث في تأثيرها الاجتماعي والسياسي وتعزيزها لفكرة العدالة الخلاصية المشتركة.

٤. علي إبراهيم (١٩٩٨) ، مفهوم الخلاص في الأديان: دراسة وصفية نقدية مقارنة

تركز الرسالة على تحليل مفهوم الخلاص في الأديان الكبرى (الإسلام، المسيحية، واليهودية) من خلال وصف عقدي ونقدي. تستعرض الأسس اللاهوتية، شروط النجاة، ودور الفداء والتوبة، وتسعى إلى بناء رؤية مقارنة نقدية تسلط الضوء على أوجه الشبه والاختلاف

الصعوبات التي واجهت الدراسة

واجهت الدراسة عددًا من الصعوبات المنهجية والمعرفية، تمثلت أبرزها في ندرة الدراسات العربية التي تجمع بين البعد العقدي والأنثروبولوجي لمفهوم النجاة والخلاص في الأديان السماوية، مما تطلّب الرجوع إلى مصادر متفرقة ومتنوعة بلغات مختلفة. كما برزت صعوبة في التمييز بين ما هو نص ديني أصيل وما هو تأويل لاهوتي لاحق، خاصة في الديانتين اليهودية والمسيحية، بسبب تعدد النسخ والتقاليد النصيّة. بالإضافة إلى ذلك، تطلّبت المقارنة بين المذاهب الإسلامية دقّة شديدة لتجنّب التعميم أو تحميل مذهب بخصوصيات مذهب آخر، وهو ما استدعى العودة إلى مصادر عقدية أصلية لكل مذهب. ومن الناحية الأنثروبولوجية، واجهت الدراسة نقصًا في الدراسات الحقلية الحديثة التي توثق تمثلات النجاة والخلاص في الثقافة الشعبية والطقوس المعاصرة، وهو ما اضطر الباحث إلى الاعتماد على التحليل النظري والمقارن في هذا الجانب.

المبحث الأول: مفهوم النجاة والخلاص في الأديان الإبراهيمية

يُعدّ مفهوم النجاة والخلاص من أبرز المفاهيم التي شغلت حيّزًا كبيرًا في البنية العقائدية والفكرية للأديان الإبراهيمية الثلاثة: اليهودية، والمسيحية، والإسلام، إذ يرتبط هذا المفهوم ارتباطًا وثيقًا بتصور الإنسان عن الحياة الآخرة، ومصيره بعد الموت، وما يترتب على سلوكه الدنيوي من جزاء أو عقاب. ويعبّر هذا المفهوم عن غاية دينية كبرى يسعى الإنسان إلى تحقيقها، باعتبارها تمثّل ذروة العلاقة بين المخلوق والخالق، وتجسيدًا للعدالة الإلهية والرحمة في آن واحد.

وفي هذا المبحث، سيتم تناول مفهوم النجاة والخلاص من ثلاث زوايا رئيسية: تبدأ أولًا بتعريف المصطلحين في سياق الأديان الإبراهيمية وتحديد معانيهما ودلالاتهما العقدية، ثم يتم التعمق ثانيًا في تحليل الفكر العقدي لكل دين فيما يخص هذا المفهوم، وأخيرًا يتم تناول الجانب الأنثروبولوجي عبر دراسة تمثلات النجاة والخلاص في الطقوس والممارسات والمعتقدات الجماعية، لفهم أوسع لكيفية تموضع هذا المفهوم في الوعي الديني والثقافي لأتباع هذه الأديان[1].

(١) مصطفى ملكيان طوائف الشبهات الدينية ضمن كتاب: الفكر الديني وتحديات الحداثة، تع ، تعريب أحمد القبابجي، مؤسسة دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان ٢٠٠٩م، ص١٦

المطلب الاول : تعريف النجاة والخلاص

أ. الخلاص في اليهودية تعريفه، مصادره، والمفاهيم المرتبطة به.

يُعدّ مفهوم الخلاص في اليهودية مفهومًا مركزيًا ومعقدًا يرتبط بتاريخ طويل من التجارب الدينية والقومية التي مر بها الشعب اليهودي، ويأخذ أبعادًا جماعية أكثر منها فردية(١)، إذ يُنظر إلى الخلاص في كثير من نصوص التوراة والتلمود بوصفه عملية تحرير جماعي لبني إسرائيل من الظلم والاستعباد، وتجسيدًا لوفاء الله بعهده مع شعبه المختار. ويظهر هذا المعنى بشكل جلي في قصة الخروج من مصر، التي تمثل النموذج التأسيسي لفكرة الخلاص اليهودي، حيث تدخّل الإله لإنقاذ قومه من العبودية، وجعل منهم أمة حرة تسير وفق شريعته.

تستند مفاهيم الخلاص في اليهودية إلى مصادر عدة، أبرزها أسفار العهد القديم (التوراة)، وكتابات الأنبياء، والمزامير، فضلًا عن التقاليد التفسيرية والتلمودية اللاحقة، التي طوّرت الرؤية العقدية والروحية للخلاص، وربطته بعودة المسيّا المنتظر، وإعادة بناء الهيكل، وقيام مملكة إلهية يسود فيها العدل والسلام. ويمتزج المفهوم في الفكر اليهودي بالانتظار المخلّص، إذ يتوقع اليهود مجيء شخص مُرسل من الله (المسيّا) ليحقق الخلاص النهائي، سواء في صورة سياسية – بإقامة حكم إلهي – أو روحية، تتجلى في تطهير الأمة وتجديد عهدها مع الله.(٢)

وترتبط مفاهيم أخرى بالخلاص اليهودي، منها «العهد»، و«الاختيار الإلهي»، و«التوبة»، و«العدالة الإلهية»، إذ لا يُفهم الخلاص بمعزل عن العلاقة التعاقدية بين الله وبني إسرائيل، وهي علاقة مشروطة بالالتزام بالشريعة، ما يجعل الخلاص في اليهودية مشروطًا بطاعة الشريعة والتوبة الصادقة.(٣)

بتحليل للوصايا العشر في الديانة اليهودية يمكن استخلاص مفهوم "الخلاص" الذي ينبني عليه الانعتاق من الذنب والدخول في الرضوان الأزلي في الديانة اليهودية. فالخلاص في الديانة اليهودية مبني على شقين:

الشق الأول: وهو شق إلهي مبني على الإيمان بالله الواحد، الذي تسمى في المصادر اليهودية بعدة أسماء: إيل، إلوهيم، بعل، يهوه. وهو الرب الذي لا شريك له، الله هو الكائن الذي

(١) د. محمد عبدالله دراز الدين - بحوث مهداة لدراسة تاريخ الأديان، مطبعة السعادة بالقاهرة١٩٦٩م، ص ٣٤ .

(٢) د. رؤوف شلبي، الأديان القديمة في الشرق، دار الشروق القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ص ٢٩.

(٣) هيجل: موسوعة العلوم الفلسفية، ترجمة د. إمام عبدالفتاح إمام مكتبة مدبولى بالقاهرة، بدون تاريخ، ص ٥١ .

يكون كل شيء من خلاله، وبدونه ما كان أو يمكن لشيء أن يكون.(١)

اليهودية تؤمن بالوحدانية المطلقة لهذا الكائن... وبكلمة «أحد» لا تعني اليهودية أنه لا توجد آلهة أو قوى أخرى منافسة الله فحسب، بل تعني بأن وحدانيته المتفردة والمطلقة، تحيط بكل الأشياء وكل الظواهر. لا شيء سوى؛ أي: لا شيء يوجد خارج الله... فكل الأشياء - الناس والأماكن والطاقة والمعطيات وقوانين الطبيعة والأبعاد التي تعمل فيها - كلها من صنع الله.

ولما لا يمكن لشيء أن يوجد خارجه؛ فهو الخالق - ليس فقط بمعنى خلق الكون أصلاً من لا شيء، بل في الاستمرار السائر لذلك العالم... وفي حاصل الأمر؛ فان إرادته تخلق كل الأشياء على الدوام.

الله متفرد لدرجة أن إدراكه بصورة كاملة ودقيقة، يتطلب من المرء أن يكون إلهاً. أما ما نعرفه عن الله محصور بمحدوديات الإدراك البشري.

وقد جادل بعض المفكرين اليهود كموسى بن ميمون بأننا لم نقدر على إصدار بيانات مؤكدة عنه؛ لأن أي شيء قلناه عنه من شأنه أن يحدّ منه ويقلل من شأنه، فإذا وصفنا الله بأنه حكيم أو أكثر حكمة من أي شيء يمكن أن نتخيله.(٢)

الشق الثاني: الشريعة، أو العبادات وهي وجوب القيام بالصلوات، وأن تكون الله وحده لا لغيره، وأن يتخلق العبد بأخلاق معينة؛ كطاعة الوالدين، وعدم أكل المال الحرام، وعدم الزنا، وعدم شهادة الزور... إلخ. وهذه العبادات المتعددة تعتبر أساسية في مفهوم الدين اليهودي، وبالضرورة أساسية في مفهوم «الخلاص» اليهودي؛ لأن عدم القيام بها يُعتبر إخلالا بالوصايا العشر المنزلة على النبي موسى عليه السلام.

وباعتبار كثرة الأنبياء في بني إسرائيل، وتعداد الصحف المنزلة عليهم، وتعدد الأدوار التاريخية التي مرت بهم وتنوع السلط الدينية بين مؤسسة دينية يقودها الأحبار، وما يمكن التعبير عنه بمؤسسة الأنبياء، وتداخل كل ذلك بالسلطة والسياسة والعادات والتقاليد الشعبية التي عرفتها اليهودية ضرورة امتزاجها بالشعوب المجاورة؛ فإن العبادات تعددت فيها وكثرت شروطها وقيودها إلى حد كبير.(٣)

(١) د. أحمد فؤاد الأهوانى، تقديمه لكتاب ستيس الزمان والأزل، سبق الإشارة إليه، ص ٩.

(٢) د. على سامى النشار : نشأة الدين - النظريات التطورية والمؤلهة في نشرة مكتبة الخانجي بمصر، بدون تاريخ، ص ١٤ - ١٥ .

(٣) أبو الفضل محمودى، منشأ الدين ضمن كتاب الفكر الديني وتحديات الحداثة، تعريب أحمد القبابجي،

ب. الخلاص في المسيحية مفهومه في الكتاب المقدس وتعاليم الكنيسة.

يُعدّ مفهوم الخلاص في المسيحية جوهر العقيدة وركيزتها الأساسية، إذ يرتبط ارتباطًا مباشرًا بحياة المسيح وصلبه وقيامته، ويُفهم على أنه التحرر من الخطيئة والموت الروحي، والدخول في علاقة جديدة مع الله تقوم على النعمة والفداء. في الكتاب المقدس، وخاصة في العهد الجديد، يُطرح الخلاص على أنه عطية إلهية يُقدّمها الله للبشرية من خلال يسوع المسيح، الذي قدّم نفسه ذبيحة كفارية عن خطايا البشر، فصار الإيمان به شرطًا أساسًا لنوال الخلاص: «لأنه هكذا أحبّ الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية» (يوحنا ٣: ١٦)[١]

يتجلى المفهوم في تعاليم الكنيسة الأولى واللاحقة في صورة خلاص شخصي يتم بالإيمان والنعمة، لا بالأعمال وحدها، ويُؤكَّد فيه دور المسيح كمخلّص للعالم، ومُجسّد للرحمة الإلهية، الذي بموته وقيامته غلب الخطيئة وفتح باب الحياة الأبدية للمؤمنين. كما يُنظر إلى الخلاص المسيحي بوصفه فعلًا مستمرًا، يبدأ بالإيمان والمعمودية ويتواصل عبر حياة التوبة والمشاركة في الأسرار الكنسية، ولا يبلغ كماله إلا في الحياة الأبدية.[٢]

وترتبط بالمفهوم مفاهيم لاهوتية أساسية مثل: «الخطيئة الأصلية»، و«النعمة»، و«الفداء»، و«التبرير»، و«المصالحة»، وهي تشكّل البنية العقدية التي من خلالها تُفهم طبيعة العلاقة بين الإنسان والله، وكيفية تحقيق الخلاص. وتختلف بعض الكنائس في تفاصيل فهم هذا المفهوم، فبينما تؤكد الكنيسة الكاثوليكية على دور الإيمان والأعمال معًا، تركز الكنائس البروتستانتية على الإيمان وحده، فيما تمنح الأرثوذكسية أهمية للعلاقة الحيّة بالكنيسة والتقديس التدريجي للنفس.

ج. الخلاص في الإسلام المفهوم القرآني والسنة النبوية.

يتجذّر مفهوم الخلاص في الإسلام ضمن البنية العقدية والأخلاقية التي يرسّخها القرآن الكريم والسنة النبوية، ويُفهم بوصفه نجاة الإنسان من العذاب الإلهي في الآخرة، ودخوله الجنة نيلًا

ص ٣٣ - ٣٤.

(١) أبو زيد، بكر بن عبد الله. الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ط١، دار العاصمة، ١٤١٧هـ، ٣٣.

(٢) أحمد بن عبد الرحمن القاضي. دعوة التقريب بين الأديان، دار ابن الجوزي، ص٥٤.

لرضا الله ومغفرته. ويقوم هذا المفهوم على أركان الإيمان والعمل الصالح،[١] إذ لا يتحقق الخلاص في الإسلام إلا عبر الجمع بين التصديق القلبي بأصول العقيدة، والامتثال العملي لأوامر الله واجتناب نواهيه، في انسجام بين الإيمان والعمل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ (الكهف: ١٠٧)

القرآن الكريم يُبرز مفهوم الخلاص من خلال مصطلحات متعددة كـ«النجاة»، و«الفوز»، و«الرحمة»، و«المغفرة»، و«التقوى»، وجميعها تُشير إلى الغاية النهائية للإنسان المؤمن، وهي النجاة من النار والدخول في الجنة. ويؤكد النص القرآني على أن الخلاص لا يكون بالانتساب الديني أو النسب القومي، بل بالتقوى والإخلاص: ﴿فَمَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: ٧)

أما في السنة النبوية، فتتجلّى معاني الخلاص في الأحاديث التي تؤكد الرحمة الإلهية والتوبة كسبيل للنجاة، وأن الإنسان يُبتلى ويُحاسب ويُجازى بحسب نيّته وأعماله، وأن باب المغفرة مفتوح لكل تائب، بل ورد في الحديث الصحيح: «لن يُدخِلَ أحدًا عملُه الجنةَ، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمةٍ منه وفضل» (رواه البخاري). وهو ما يدلّ على توازن الإسلام بين عدالة الله ورحمته[٢].

ويتعلق بالخلاص في الإسلام مفاهيم محورية مثل: «التوحيد»، و«الشفاعة»، و«العدل الإلهي»، و«الرحمة»، و«الابتلاء»، وكلها تشكّل إطارًا يُحدد موقع الإنسان بين التكليف والاختيار، ويُبرز أن النجاة في التصور الإسلامي تتأسس على العلاقة الحيّة بين العبد وربه، المملوءة بالخوف والرجاء، والعمل والنية، والإيمان والاستغفار. [٣]

المطلب الثاني: النجاة والخلاص في الفكر العقدي

أ. دور الأعمال الصالحة والإيمان في النجاة في كل دين.

تتباين الأديان الإبراهيمية في كيفية تصور العلاقة بين الإيمان والأعمال الصالحة كشرطين أو وسيلتين لتحقيق النجاة والخلاص، لكنها تلتقي في إدراك أهمية التفاعل بين البعد القلبي العقدي والسلوك العملي.[٤]

(١) البهائية، دين الله واحد: النظرة البهائية لمجتمع عالمي موحد، الجامعة البهائية العالمية، ط١، ٢٠٠٧م، ص٧٧٨.
(٢) البهي، محمد. الإخاء الديني ومجمع الأديان وموقف الإسلام، ط١، مصر، دار وهبة، ١٩٨١م، ص٤٥.
(٣) جمال الدين، هبة. الديانة الإبراهيمية وصفقة القرن، الدار المصرية اللبنانية، ص١٢٢.
(٤) حسن، إسماعيل علي. الإبراهيمية بين خداع المصطلحات وخطورة التوجهات، المسار للدراسات الإنسانية، ص٢٣.

في اليهودية يُعَدُّ العمل الصالح أمرًا محوريًا في تحقيق النجاة، إذ يُنظر إلى الالتزام بالشريعة (التوراة) وتنفيذ الوصايا الإلهية (الميتسفوت) كوسيلة رئيسية للتقرب إلى الله والفوز برضاه. يُقرّ الفكر اليهودي بوجود الخطيئة، لكن التوبة، والندم، والعمل الصالح، تمثل السبل لاستعادة العلاقة مع الله. وفي بعض الاتجاهات اليهودية، مثل الفريسيين، يرتبط الخلاص بالتمسك بالوصايا بدقة، بينما تميل الاتجاهات التصوفية مثل القبّالة إلى إعطاء بعد روحي وتأويلي أوسع لمعنى النجاة.

أما في المسيحية فيُعدّ الإيمان بيسوع المسيح كمخلّص ومُفتدٍ من الخطيئة الركيزة الأساسية للخلاص، ويُطرح الإيمان على أنه استجابة قلبية وثقة تامة بنعمة الله، التي تُمنح مجانًا للإنسان(١). ومع ذلك، لا يُنفى دور الأعمال الصالحة، بل تُقدَّم كنتيجة طبيعية للإيمان الحقيقي، كما جاء في رسالة يعقوب: "الإيمان بدون أعمال ميت" (يعقوب ٢: ٢٦). وتختلف الطوائف المسيحية في ترتيب العلاقة بين الإيمان والعمل؛ فالكاثوليك يؤكدون التكامل بين الإيمان والأعمال، بينما يشدد البروتستانت على أن الخلاص يتم بالإيمان وحده، فيما ترى الأرثوذكسية ضرورة حياة التقديس والتوبة كطريق طويل نحو النجاة.

في الإسلام يمثل كل من الإيمان والعمل الصالح شرطين متلازمين لا ينفصلان في تحقيق النجاة، فالقرآن يقرن بينهما في مواضع متعددة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (البينة: ٧). ولا يُجدي الإيمان المجرد دون السلوك العملي الذي يجسده في طاعة الله والقيام بالفرائض وترك المحرمات. ومع ذلك، فإن الإسلام لا يُغفل جانب الرحمة الإلهية، حيث تظل مغفرة الله أوسع من الذنوب، وتكون التوبة والنية الصادقة من أهم أبواب النجاة.

يتضح من ذلك أن النجاة في الفكر العقدي للأديان الإبراهيمية تقوم على جدلية بين الإيمان كقناعة داخلية، والعمل كترجمة سلوكية لهذه القناعة، وإن تباينت الأولويات والتصورات العقدية لكل دين.(٢)

ب. الجوانب المرتبطة بمفهوم الخلاص بعد الموت.

يمثل ما بعد الموت محورًا رئيسًا في العقيدة الدينية لكل من الأديان الإبراهيمية، وتنبثق منه تصورات غيبية تتعلق بمصير الإنسان الأبدي، وما إذا كان سينال النجاة والخلاص أو يُعرض للعقاب. وتُعبّر هذه التصورات عن فهم كل دين لطبيعة العلاقة بين الإنسان والله، ولأهمية الحياة

(١) ظهير، إحسان إلهي. البهائية: نقد وتحليل، دار الإمام المجدد، ١٩٨٧م، ص٧٨.
(٢) عناية، عز الدين. الأديان الإبراهيمية: قضاياها الراهنة، ط١، دار توبقال، المغرب، ٢٠١٤م، ص١٤.

الأرضية بوصفها مقدّمة للحياة الأخرى.(١)

في اليهودية لا تحظى مسألة ما بعد الموت بتفصيل كبير في أسفار العهد القديم، بل تغلب النظرة الدنيوية إلى الثواب والعقاب، حيث يرتبط الجزاء الإلهي غالبًا بما يلقاه الإنسان في حياته من بركة أو بلاء. غير أن بعض الاتجاهات المتأخرة في الفكر اليهودي، لا سيما بعد السبي البابلي، بدأت تطرح تصورات عن البعث، والحياة الأخرى، والجنة والجحيم، خصوصًا في الأدبيات الرؤيوية والتلمودية. ويُعتقد أن الخلاص بعد الموت يشمل بعث الأبرار في اليوم الأخير ودخولهم في حالة من القرب الإلهي، في حين يُقصى الأشرار.(٢)

أما في المسيحية فإن مفهوم الخلاص بعد الموت يحتل مكانة مركزية في العقيدة، حيث يُعتقد أن موت المسيح وقيامته فتحا باب النجاة للبشر، وأن الإيمان به يقود إلى الحياة الأبدية في ملكوت السماوات. وتُميز المسيحية بين الدينونة الخاصة التي تحدث مباشرة بعد الموت، والدينونة العامة في اليوم الأخير. وتُصور الحياة الأبدية بأنها الاتحاد مع الله في النعيم، بينما يُمثَّل الهلاك في الانفصال الأبدي عنه. وتُشدد الكنيسة الكاثوليكية على وجود المطهر كمحطة تطهير قبل دخول الجنة، في حين تُنكر بعض الطوائف الأخرى هذا التصور.(٣)

في الإسلام يُعد الإيمان باليوم الآخر أحد أركان العقيدة، ويتضمن سلسلة من الأحداث تبدأ بالموت، ثم عذاب القبر أو نعيمه، فالنفخ في الصور، فالبعث، والحساب، والصراط، ثم الجنة أو النار. ويتحدد مصير الإنسان بعد الموت بناءً على ميزان حسناته وسيئاته، وشمول رحمة الله وعدله. وترد في القرآن الكريم والسنة النبوية أوصاف مفصّلة للجنة والنار، مما يعكس اهتمامًا بالغًا بتثبيت التصور الأخروي في ذهن المؤمن. كما أن الشفاعة والتوبة تُمثلان وسائل من وسائل النجاة في الآخرة، إلى جانب الإيمان والعمل.

من خلال هذه الرؤى المختلفة، يتضح أن كل دين من الأديان الإبراهيمية يمنح مفهوم الخلاص بعد الموت بُعدًا يتناسب مع رؤيته الوجودية والأخلاقية للإنسان، وتُعبّر هذه التصورات عن الحاجة العميقة لدى الإنسان لمعرفة المصير والبحث عن الطمأنينة في ما وراء هذه الحياة.

(١) النجار، عامر. البهائية وجذورها البابية، ط١، عين للدراسات، ١٩٩٦م، ص٦٧.
(٢) السقار، منقذ بن محمود. الحوار مع أتباع الأديان: مشروعيته وآدابه، رابطة العالم الإسلامي، ص٧٨.
(٣) هبة جمال الدين محمد العزب. الدبلوماسية الروحية والمشترك الإبراهيمي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٢١م، ص٨٩.

ج. اختلاف الأديان في شروط الخلاص فداء، توبة، أعمال، إيمان.

تتباين الأديان الإبراهيمية في تحديد الشروط التي تُفضي إلى النجاة والخلاص، إذ تعكس كل ديانة رؤيتها اللاهوتية لطبيعة الإنسان، والخطيئة، والعلاقة مع الله، وتتمحور هذه الشروط غالبًا حول مفاهيم الفداء، التوبة، الإيمان، والعمل، لكن بدرجات وترتيبات مختلفة.(١)

في اليهودية لا يظهر مفهوم الفداء بمعناه المسيحي، بل يرتكز الخلاص على التوبة الفردية والجماعية، والعودة إلى الالتزام بالشريعة الإلهية، إذ يُنظر إلى التوراة كطريق النجاة، وتُعَد الأعمال الصالحة واتباع الوصايا (الميتسفوت) جوهر العلاقة مع الله. ويُعَد «يوم الكفارة» (يوم كيبور) مناسبة سنوية مركزية لتجديد العهد مع الله عبر التوبة والصلاة والصوم، ما يؤكد أهمية الفعل الأخلاقي والنية الصادقة في نيل الغفران والنجاة.(٢)

أما في المسيحية فإن شرط الخلاص الجوهري هو الإيمان بالفداء الذي تحقق بموت المسيح وقيامته، ويُنظر إلى يسوع بوصفه حمل الله الذي رفع خطيئة العالم، كما جاء في إنجيل يوحنا (١: ٢٩). ويُعتبَر الإيمان بيسوع كمخلّص شخصي هو الطريق إلى الخلاص، وتتبعه حياة التوبة والتقديس، دون أن تُلغى أهمية الأعمال الصالحة، التي تُعد ثمرة لهذا الإيمان وليس شرطًا مستقلاً. وتختلف المذاهب المسيحية في تفسير هذا التوازن؛ فالبروتستانت يرون أن «الإيمان وحده» يكفي للخلاص، بينما تؤكد الكاثوليكية والأرثوذكسية أن الخلاص يتم بالإيمان المعزز بالأعمال الصالحة والنعمة الإلهية.

في الإسلام يبرز التوازن بين الإيمان والعمل الصالح والتوبة كأركان رئيسة للنجاة، مع تركيز واضح على رحمة الله ومغفرته. لا يُؤمن الإسلام بفكرة الفداء بمعناها الكفاري، بل يؤكد أن كل نفس مسؤولة عن عملها: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (الأنعام: ١٦٤). وتُعد التوبة الصادقة طريقًا لرفع الذنوب، خاصة إذا اقترنت بالإقلاع عن المعصية والعزم على عدم العودة. كما أن الإيمان بدون عمل لا يُعتبَر كافيًا، لأن النصوص القرآنية تقرن دومًا بين الإيمان والعمل الصالح كشرط مزدوج للنجاة.

(١) أبو حشيش، يوسف. الإبراهيمية وآثارها على المجتمعات العربية والإسلامية، المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، العدد ٤٢٧، ٢٠٢٢م، ص٦٣.

(٢) كيسويتر، ألن، وشاين السقف، جون. الدبلوماسية والدين: البحث عن مصالح مشتركة، معهد بروكنجز، ٢٠١٣م، ص١٢.

يتبيّن من ذلك أن شروط الخلاص تختلف في مدلولها ووزنها العقدي من ديانة إلى أخرى، فاليهودية تُركز على الشريعة والعمل، والمسيحية على الفداء والإيمان، والإسلام على التوازن بين الإيمان، التوبة، والعمل، مع انفتاح على الرحمة الإلهية، ما يُبرز تفرّد كل منظومة دينية في بناء مفهوم النجاة ضمن رؤيتها العامة للوجود والإنسان.(١)

المطلب الثالث: الجانب الأنثروبولوجي لمفهوم النجاة والخلاص

أ. التأثير الاجتماعي والثقافي لمفهوم الخلاص في المجتمع.

يشكل مفهوم النجاة والخلاص أحد المحاور الأساسية التي أثّرت في تشكيل البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمعات التي تعتنق الأديان الإبراهيمية، إذ لم يبقَ هذا المفهوم حبيس الدائرة اللاهوتية أو الغيبية، بل تسرب إلى الوعي الجمعي وساهم في توجيه السلوك الفردي والجماعي، وتنظيم العلاقات داخل المجتمع. فالخلاص ليس مجرد وعد أخروي، بل هو محرك فعال للقيم، والممارسات، والنظم الرمزية التي تحكم الحياة اليومية.

في المجتمعات اليهودية ساهمت فكرة الخلاص الجماعي، المرتبطة بعودة الماشيح (المسيّا)، في ترسيخ روح التماسك والانتماء، وخاصة في فترات الاضطهاد والشتات. وتحولت عقيدة الخلاص إلى عنصر من عناصر الحفاظ على الهوية الثقافية والقومية، ما عزّز شعور الجماعة بتميّزها التاريخي والديني. كما لعبت الطقوس المرتبطة بالغفران والرجاء بالخلاص دورًا في ضبط النظام الأخلاقي للفرد داخل الجماعة.(٢)

أما في المجتمعات المسيحية فقد أنتج مفهوم الخلاص بنية ثقافية قائمة على الإحساس بالذنب والتوبة، وولّد أخلاقيات تتصل بالمحبة، والخدمة، والتضحية. وأثرت هذه المفاهيم في المؤسسات الاجتماعية، مثل الكنيسة، التي اتخذت دورًا مركزيًا في توجيه الأفراد نحو الخلاص الأبدي، فمارست تأثيرًا في مجالات التعليم، والفن، والسياسة، والعلاقات الاجتماعية. كما شجعت تعاليم الخلاص على العطاء، والعمل الخيري، والاهتمام بالفقراء، كجزء من الاستعداد للخلاص.(٣)

(١) رضوان، السيد. الديانات الإبراهيمية من الاختلاف إلى الائتلاف، مجلة التفاهم، العدد ٦٣، ص٩٨.

(٢) البيضاوي، عبد الله بن عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر، ص١١٤.

(٣) ابن عربي، محيي الدين. ترجمان الأشواق، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص٤٥.

في الثقافة الإسلامية ساعد مفهوم النجاة والخلاص في توجيه الفرد نحو أداء العبادات، والالتزام بالسلوك القويم، والتكافل الاجتماعي، انطلاقًا من الإيمان بأن الدنيا مزرعة للآخرة. وقد شكلت مفاهيم مثل الجنة، والنار، والثواب، والعقاب، إطارًا مرجعيًا للقيم الاجتماعية، فانعكس ذلك في تقاليد مثل الصدقة، وصلة الرحم، والتوبة الجماعية في مواسم معينة، كرمضان. كما ساهمت فكرة الحساب في اليوم الآخر في ترسيخ العدالة الأخلاقية داخل الضمير الجمعي.

وعليه، فإن مفهوم الخلاص لم يكن مجرد قضية غيبية، بل تحوّل إلى عنصر ثقافي مؤثر في إنتاج السلوكيات، وترسيخ القيم، وتنظيم العلاقات داخل المجتمع، بما يعكس التداخل بين العقيدة الدينية والبنية الاجتماعية.

ب. تمثيل النجاة والخلاص في الطقوس والعادات الدينية.

تُعد الطقوس والشعائر الدينية مرآة حية لتجليات مفهوم النجاة والخلاص في الأديان الإبراهيمية، إذ لا تقتصر وظيفتها على التعبير الرمزي، بل تُجسّد المعتقدات العقدية بصورة محسوسة، وتُرسّخ في أذهان الأتباع المعاني المرتبطة بالخلاص، سواء أكان ذلك في الحياة الدنيا أم في الآخرة.(١) ومن خلال الممارسات الطقسية، يتفاعل المؤمن مع الخلاص كحالة روحية وغاية أخروية، فتتحول الشعائر إلى أدوات تربوية وجماعية لإعادة إنتاج المعنى العقدي في الوعي الجمعيفي اليهودية ترتبط طقوس مثل «يوم الكفارة» (يوم كيبور) بشكل مباشر بفكرة التكفير عن الذنوب والسعي للخلاص. ففي هذا اليوم، يُمارس الصوم والصلاة والاعتراف، تعبيرًا عن التوبة، والرغبة في الحصول على الغفران الإلهي. كما تُجسد طقوس مثل «الفصح اليهودي" (Pesach) ذكرى الخلاص التاريخي من العبودية في مصر، بما يعكس المفهوم الجمعي للخلاص بوصفه تحريرًا إلهيًا. وتغدو الطقوس أداة لحفظ الهوية وتكرار لحظة الخلاص عبر الزمن.(٢)

أما في المسيحية فتُعد الأسرار الكنسية، ولا سيما سر المعمودية، وسر التوبة، وسر الإفخارستيا، من الطقوس التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمفهوم الخلاص. فالمعمودية تُعلن بداية الحياة الجديدة في المسيح، والتوبة تُعيد العلاقة المكسورة مع الله، فيما يُمثل الإفخارستيا تذكيرًا دائمًا بعملية الفداء التي تحققت من خلال صلب المسيح. وتُعيد هذه الطقوس تمثيل قصة الخلاص الفردي

(١) ميغوليفسكي ، اسرار الالهة والديانات ترجمة/ اسحاق ميخائيل حسان ، دار علاء الدين دمشق ط/ الرابعة ٢٠٠٩، ص٥٦

(٢) بربارا براون نظرة عن قرب في المسيحية. ترجمة الياسري مناف حسين نشر شركة التوحيد للنشر د.ط ، ١٩٩٥ ، ص٦٧

والجماعي، وتُشعر المؤمن بالانخراط في مسيرة روحية مستمرة نحو النجاة.[١]

أما في الإسلام فترتبط طقوس العبادات الخمسة، مثل الصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، بفكرة النجاة من العذاب، ونيل رضا الله، والوصول إلى الجنة. ويُنظر إلى الصوم مثلًا كوسيلة لتزكية النفس، وتكفير الذنوب، كما يُجسد الحج رمزية الخضوع والتوبة الكاملة، خاصة في يوم عرفة، الذي يُعد من أكثر الأيام رجاءً بالمغفرة والخلاص. كذلك فإن طقوس دفن الميت وقراءة القرآن والدعاء تُشير إلى حضور دائم لمفهوم النجاة في الوعي الديني الجمعي.

ج. تطور مفهوم الخلاص عبر الزمن في الأديان الإبراهيمية.

لم يكن مفهوم النجاة والخلاص في الأديان الإبراهيمية ثابتًا عبر الزمن، بل خضع لتحولات تأويلية وتاريخية عميقة، تأثرت بسياقات اجتماعية وثقافية وسياسية مختلفة، مما أفرز تباينات في فهم المخلص، وشروط النجاة، وطرائق تحقيقها. وقد عكست هذه التحولات قدرة المعتقد الديني على التفاعل مع المتغيرات الزمنية، واستيعاب حاجات الجماعة المؤمنة، سواء في أوقات الاضطهاد أو الازدهار.

في اليهودية مرّ مفهوم الخلاص بتحول كبير من التركيز على الخلاص القومي – المتمثل في تحرير بني إسرائيل من العبودية وتحقيق وعود الرب – إلى بُعد أكثر روحانية وشخصية، لا سيما بعد تدمير الهيكل الثاني. فبينما كان الخلاص في النصوص التوراتية الأولى مرتبطًا بالفعل الإلهي في التاريخ، بدأت الآراء اللاحقة، لا سيما في الفلسفة اليهودية والقبّالة، تُبرز البعد الأخلاقي والروحي للخلاص، مع التركيز على دور الفرد في إصلاح ذاته والعالم من خلال «الوصايا» (الميتسفوت)[٢].

أما في المسيحية فقد شهد مفهوم الخلاص تطورًا لاهوتيًا لافتًا، بدأ بفكرة الفداء من خلال صلب المسيح، بوصفه الخلاص الأعظم للإنسانية. ومع تطور المدارس اللاهوتية، اختلفت الرؤى حول العلاقة بين النعمة الإلهية والأعمال، كما ظهرت تأويلات جديدة في العصور الوسطى وعصر الإصلاح (مثل عقيدة التبرير بالإيمان عند مارتن لوثر)، ثم امتدّت النقاشات إلى العصر الحديث، حيث تناول بعض اللاهوتيين المعاصرين مفهوم الخلاص كتحرير اجتماعي،

(١) جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة ، ط/ الاولى ، ١٩٩٣، عدد ١٧٣

(٢) هوبيش ديشان الديانات في افريقيا السوداء ، تر / احمد صادق حمدي المركز القومي للنشر، مصر ط / اولى ، ٢٠١١ ،ص٥٤

أو كخبرة داخلية للتصالح مع الذات والعالم، متأثرين بالفكر الإنساني والوجودي[١].

أما في الإسلام فقد بقي مفهوم النجاة والخلاص مستقرًا نسبيًا من حيث ارتباطه بالإيمان بالله، والعمل الصالح، والابتعاد عن الكبائر، غير أن التفسيرات العقدية لهذا المفهوم تطورت بتعدد الفرق والمذاهب. فبينما أكدت المعتزلة على حتمية العدل الإلهي وربطت الخلاص بالعمل، شددت الأشاعرة على التوازن بين رحمة الله ومشيئته وإرادة الإنسان. وفي السياق الصوفي، أصبح الخلاص مرادفًا للفناء في الله والوصول إلى المعرفة الباطنية، بينما برز في الفكر السلفي التقليدي على شكل التزام صارم بالعقيدة الصحيحة وتجنب البدع. وفي الأزمنة الحديثة، بات البعض يعيد قراءة المفهوم في ضوء التحديات المعاصرة، مثل العدالة الاجتماعية والتحرر من الظلم.

وعليه فإن مفهوم الخلاص في الأديان الإبراهيمية ليس مقولة لاهوتية جامدة، بل هو كائن حي يتنفس عبر العصور، ويعكس تفاعل العقيدة مع التجربة الإنسانية، من خلال التأويلات المتجددة، والتمثلات المتنوعة، والوظائف العقدية والاجتماعية التي يؤديها في كل زمان ومكان[٢].

المبحث الثاني: مفهوم النجاة والخلاص في المذاهب الإسلامية

يتّسم مفهوم النجاة والخلاص في الإسلام بتركيبة غنية ومتعددة الأبعاد، تنبع من النصوص القرآنية والحديثية، وتتفرع عبر المذاهب الإسلامية المختلفة، في ضوء التأويل العقدي والاجتهاد الكلامي. فقد شكّل هذا المفهوم حجر الزاوية في الرؤية الإسلامية للعالم، ونظرتها إلى مصير الإنسان، وموقعه في العلاقة مع الخالق، ومع القيم الأخلاقية والشرعية التي تحكم سلوكه.

ولا يقتصر بحث النجاة والخلاص في الإسلام على الجانب اللاهوتي فحسب، بل يمتد إلى جدليات واسعة حول شروط الهداية، وحدود التوبة، ودور الشفاعة، والاختلاف بين الفِرَق في توصيف "الفرقة الناجية"، وهو ما أفرز تباينات فكرية وعقائدية بين المدارس السنية، والشيعية، والمعتزلة، وغيرها. ويكشف هذا التباين عن حيوية الفكر الإسلامي في معالجة السؤال الجوهري حول من يُعدّ من أهل النجاة، وما السبيل إليها.[٣]

كما يتجلى البعد الأنثروبولوجي لهذا المفهوم من خلال انعكاسه في حياة المسلمين اليومية، وفي طقوسهم وسلوكهم، وفي تصوراتهم عن الآخرة، والثواب والعقاب، مما يُظهر كيف يتحول الإيمان بالخلاص إلى ممارسة ثقافية واجتماعية متجذرة في وجدان الجماعة المسلمة.

(١) الطيب بوعزة ، الفلسفة اليونانية ما قبل السقراطية، مركز نماء للبحوث والدراسات ، ٢٠١٣ ، ص٩٣

(٢) داود عجك، بسام. الحوار الإسلامي المسيحي، دار ابن قتيبة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص١٩٩.

(٣) دراز، محمد عبد الله. دستور الأخلاق في القرآن، ترجمة: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، ص٧٨.

لذلك، يتناول هذا المبحث مفهوم النجاة والخلاص أولاً من خلال عرض أسسه العامة في النص الإسلامي، ثم يستعرض اختلافات المذاهب الإسلامية في تفسير هذا المفهوم، وأخيرًا يستكشف أبعاده الأنثروبولوجية في الحياة الدينية والاجتماعية للمسلمين.(١)

المطلب الاول: مفهوم النجاة والخلاص في الإسلام

أ. الخلاص في الإسلام موقف القرآن والسنة من النجاة.

يرتبط مفهوم النجاة والخلاص في الإسلام ارتباطًا وثيقًا بالعقيدة الإسلامية التي تستند إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث يشكلان المصدرين الأساسيين لتحديد مصير الإنسان في الدنيا والآخرة. فالنجاة في القرآن لا تُفهم بوصفها مجرّد تحرر من العذاب، بل تُطرح كثمرة للإيمان الصادق والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، مما يدل على مركزية العمل كعنصر حاسم في تحقيق الخلاص.

ويبرز في الخطاب القرآني أن النجاة مشروطة بالتوحيد، والاجتناب عن الشرك، واتباع سبيل الله، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٨]، وهي إشارة إلى أنّ النجاة ليست مجرد شعور أو رغبة، بل هي مسار من السلوك والنية.

أما في السنة النبوية، فتتجلى معالم النجاة في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» (رواه البخاري)، وهو ما يعزز الرؤية الإسلامية التي تجعل من الاتباع والامتثال لرسالة النبي سبيلًا رئيسيًا للخلاص.(٢)

ولا تكتفي النصوص بإبراز الجانب الفردي للخلاص، بل تشير إلى أن النجاة جماعية أحيانًا، مرتبطة بجماعة الحق أو «الفرقة الناجية»، مما يفتح الباب أمام تفسيرات مذهبية وسياسية لمفهوم النجاة، ويُشكّل مقدمة لما سيأتي من اختلافات في المذاهب الإسلامية. هكذا، يجمع الإسلام بين البعد الإلهي والإنساني في مسألة النجاة، مما يمنحها طابعًا ديناميًا مفتوحًا على التأويل والتطبيق.(٣)

(١) ديورانت، وِل ديورانت. قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م، ص٢٣.
(٢) سعد ظلام. رجاء جارودي وإسلام أبيض، دار نهضة الشرق، ١٩٩٧م، ص٤٥.
(٣) شعبان البركاتي، الشحات. الولاء والبراء في الإسلام، دار الدعوة الإسلامية، ط١، ١٤٣٣هـ، ص١٢٢.

ب. النجاة في الآخرة ارتباط الإيمان بالأعمال

يُعدّ الترابط بين الإيمان والأعمال من الركائز العقدية المركزية في الفهم الإسلامي للنجاة في الآخرة، حيث لا يُكتفى بالإيمان القلبي المجرد، بل يُشترط اقترانه بالسلوك العملي الذي يعكس صدق العقيدة في حياة الإنسان(١). فالقرآن الكريم يؤكد على هذا الترابط في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧]، وهو ما يدل على أن النجاة الأخروية لا تتحقق بالإيمان وحده، بل عبر التفاعل الواقعي مع قيم الخير والعدل والعبادة.

ومن هنا، يفرّق الفكر الإسلامي بين «الإيمان المُجَرَّد» و«الإيمان المُنجي»، إذ أن الإيمان الحقيقي – بحسب العقيدة الإسلامية – هو ما استقر في القلب وصدّقه العمل. كما أن الأحاديث النبوية دعّمت هذا الفهم، مثل قوله ﷺ: «الإيمان بضع وستون شعبة، أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» (رواه مسلم)، بما يشير إلى أن الإيمان منظومة متكاملة تشمل النية والفعل معًا.

ويُلاحظ كذلك أن الموازنة بين الإيمان والعمل تمتد إلى مفاهيم أكثر دقة كالتوبة، والنية، والإخلاص، مما يُبرز عدالة الله ورحمته في تقييم عباده يوم القيامة. وبذلك، يظهر مفهوم النجاة في الإسلام كمحصّلة لتوازن دقيق بين عقيدة القلب، وسلوك الجوارح، ما يجعل الإنسان مسؤولًا عن مصيره الأخروي في ضوء حريته واختياره.(٢)

ج. مفهوم الخلاص في الجنة والنار في الفكر الإسلامي.

يتأسس مفهوم الخلاص في الجنة والنار في الفكر الإسلامي على رؤية شاملة للعدالة الإلهية، تقوم على الإيمان، والعمل الصالح، والرحمة الإلهية. فالجنة في المنظور الإسلامي ليست مكافأة آلية، بل ثمرة لاستجابة الإنسان لنداء الله بالإيمان والطاعة، وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، مما يُبيّن أن النجاة ليست مجرد نجاة من النار، بل هي فوز بتحقيق الغاية النهائية للوجود الإنساني(٣).

(١) عبد الرحمن، أحمد. جاذبية الإسلام الروحية، مكتبة وهبة، ط١، ٢٠٠٩م، ص٥٦.

(٢) عبد الوهاب شاكر. دور يهود الولايات المتحدة الأمريكية في دعم الحركة الصهيونية، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١٤م، ص١٣٢.

(٣) عزت بيجوفيتش، علي. الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: محمد يوسف عدس، دار الشروق، ط٢، ٢٠١٣م، ص٦٧.

ويرتبط دخول الجنة في الإسلام بعدة شروط عقدية وأخلاقية، من أبرزها التوحيد، وتجنّب الكبائر، والتوبة النصوح، بينما يُعتبر الخلود في النار مصيرًا للذين أشركوا بالله ولم يتوبوا، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]. ومع ذلك، فإن الفكر الإسلامي لا يغلق باب النجاة، بل يفتحه على مصراعيه بالتوبة، والشفاعة، والرجاء في رحمة الله.

وقد أقرّت معظم المذاهب الإسلامية بأن العاصي الموحد قد يُعاقب في النار، ولكن لا يُخلّد فيها، وهو ما يميز الرؤية الإسلامية عن غيرها من التصورات التي تفصل بين الإيمان والخلاص. كما أن مفهوم الشفاعة – خصوصًا شفاعة النبي محمد ﷺ – يلعب دورًا محوريًا في أمل الخلاص، ويُعزز التصور الإسلامي القائل بأن النجاة في الجنة تقوم على التوازن بين عدل الله ورحمته.(١)

وهكذا، يظهر أن الخلاص في الجنة والنار في الفكر الإسلامي ليس حالة مضمونة لكل مؤمن، بل هو مشروع وجودي يتطلب التزامًا دائمًا، وتتداخل فيه مفاهيم التوبة، والشفاعة، والمغفرة، ليشكل منظومة عقدية وأخلاقية تتسم بالعمق والشمول.

المطلب الثاني: النجاة والخلاص في المذاهب الإسلامية المختلفة

أ. الخلاص في المذهب السني الإيمان والعمل الصالح.

يرتكز مفهوم الخلاص في المذهب السني على مبدأ التلازم بين الإيمان والعمل الصالح، حيث يُنظر إلى النجاة في الآخرة على أنها ثمرة للإيمان القلبي المقرون بالأعمال الصالحة، دون أن يكون أحدهما كافيًا بمعزل عن الآخر. ويُعدّ أهل السنة والجماعة من أكثر الفرق الإسلامية تشديدًا على هذا التوازن، مستندين إلى الآيات القرآنية التي تربط دائمًا بين الإيمان والعمل، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾ (لقمان: ٨).

ويُفرّق المذهب السني بين «الإيمان المجرّد» الذي لا تصاحبه الطاعة، وبين «الإيمان الحقيقي» الذي يظهر أثره في السلوك. ويؤمن السنة بأن الكبائر لا تُخرج المسلم من دائرة الإيمان، ولكنه يكون تحت مشيئة الله، إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له، وهو ما يتمايز عن الفرق الأخرى التي ترى في الكبائر موجبًا للخلود في النار أو للخروج من الملة.(٢)

(١) عنايت خان، حضرة. تعاليم المتصوفين، ترجمة: إبراهيم استبولي، دار الفرقد، ط٢، ٢٠٠٨م، ص٣٢١.
(٢) الغزالي، محمد. تراثنا الفكري في ميزان العقل والشرع، دار نهضة مصر، ص٢٢٣.

ويُبرز المذهب السني مفهوم الخلاص باعتباره ليس منحة تلقائية، بل مشروطًا بحسن الخاتمة، وصدق النية، والاستقامة في العمل، مع التأكيد على رجاء الرحمة الإلهية والشفاعة النبوية. وهذا يضفي على النجاة طابعًا توازنيًا يدمج بين العدل الإلهي والرحمة، وبين مسؤولية الإنسان وفضله سبحانه.(١)

ب. الخلاص في المذهب الشيعي العدالة الإلهية ودور الإمام.

يتأسس مفهوم الخلاص في المذهب الشيعي على محورين رئيسين: العدالة الإلهية والولاية للإمام المعصوم. فالشيعة، وخصوصاً الإمامية الاثنا عشرية، يرون أن العدالة الإلهية تقتضي أن يُثاب المحسن ويُعاقب المسيء، ويؤمنون بأن الله لا يظلم أحداً، ولا يُعاقب إلا بعد إقامة الحجة، مما يربط النجاة ارتباطاً وثيقاً بحرية الإرادة والمسؤولية الأخلاقية للإنسان. وتُعد العدالة أحد أصول الدين الخمسة في الفكر الشيعي، ما يضفي على النجاة طابعاً عقلانياً ومنسجماً مع المبادئ الأخلاقية.

إلى جانب العدالة، تلعب الولاية للإمام المعصوم دوراً مركزياً في تحقيق الخلاص، إذ يُعتقد أن معرفة الإمام وطاعته شرط أساس في تمام الإيمان، وبدونه لا يُقبل العمل ولا يُرجى النجاة. وقد ورد في كثير من الروايات المروية عن أئمة أهل البيت أن «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، وهو نص يُبرز مركزية الإمام كوسيط بين العبد وربه في الهداية والشفاعة والنجاة.

ولا يقتصر الخلاص في الفكر الشيعي على الإيمان المجرد، بل يشترط أيضًا الالتزام العملي بمنهج أهل البيت، والتقوى، والبر بالناس، والجهاد في سبيل الله. كما أن الشفاعة، خصوصاً شفاعة النبي محمد ﷺ وأهل بيته، تُعد ركيزة رجائية في منظومة النجاة الشيعية، بما يعكس توازنًا بين العمل والرحمة، وبين الولاء والعقيدة.(٢)

ج. اختلاف مفهوم الخلاص في المذاهب الفقهية والطائفية.

يمثل مفهوم الخلاص في المذاهب الإسلامية المختلفة تنوعًا غنيًا يعكس التباين في الرؤى الفقهية والطائفية، حيث تتفاوت المعايير والشروط التي تؤدي إلى النجاة بحسب تفسير كل مذهب لمصادر التشريع، وفهمه للعقيدة، والدور الذي يلعبه الإنسان في تحقيق خلاصه.

(١) القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة، ص٥٦.

(٢) ابن جزي، محمد بن أحمد. التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم، ط١، ١٤١٦هـ، ص٤٤.

فعلى سبيل المثال، يرى المذهب الحنفي أن الخلاص يتحقق أساسًا من خلال التزام الفرد بالواجبات الشرعية مع مراعاة الوسائل الشرعية للتوبة والاستغفار، ويولي أهمية كبيرة للنية والإخلاص، بينما يُركز المذهب الحنبلي على الشدة في حفظ الحدود والابتعاد عن الكبائر كشرط أساسي للنجاة، مع تأكيده على الرجاء في رحمة الله.

أما في المذاهب الشيعية، فتبرز أهمية الاعتقاد بولاية الأئمة المعصومين كشرط لا غنى عنه للخلاص، وهو ما يميزها عن المذاهب السنية التي لا تلزم ذلك، كما تختلف المذاهب في تصورها لشمولية الخلاص، حيث يرى بعض الفرق الطائفية ضيق دائرة النجاة بالمؤمنين من جماعتها فقط، بينما تتبنى فرق أخرى رؤية أكثر شمولية وتسامحاً.(١)

بالإضافة إلى ذلك، تباينت المذاهب في مقاربتها لمفهوم الشفاعة، حيث تُعتبر ركيزة مركزية في المذاهب الصوفية والشيعية، بينما تعطي بعض المذاهب الفقهية السنية أهمية أقل لهذا المفهوم، مُركزةً على علاقة الفرد المباشرة بالله.

وبهذا، يظهر اختلاف مفهوم الخلاص بين المذاهب الإسلامية كنتاج طبيعي لتنوع التفسيرات الفقهية، والاجتهادية، والتاريخية، ما يعكس تعددية الوعي الديني ضمن إطار العقيدة الإسلامية الواحدة.(٢)

المطلب الثالث: البُعد الأنثروبولوجي للنجاة والخلاص في المذاهب الإسلامية

أ. تأثيرات النجاة والخلاص في المجتمعات الإسلامية.

يمثل مفهوم النجاة والخلاص في المذاهب الإسلامية عنصرًا محوريًا لا يقتصر تأثيره على الجانب العقائدي والروحي فقط، بل يمتد ليشمل البُعد الاجتماعي والثقافي للمجتمعات الإسلامية. فالاعتقاد بالنجاة والخلاص يشكل دافعًا قويًا للسلوك الفردي والجماعي، حيث يسهم في ضبط السلوك الأخلاقي وتعزيز القيم الدينية التي تحكم الحياة اليومية للمسلمين.

فعلى مستوى الفرد، يُحفز هذا المفهوم الالتزام بالتقوى، والعمل الصالح، والابتعاد عن المعاصي، إذ ترتبط النجاة بتحقيق معايير معينة من العبادة والطاعة، مما يرسخ الانضباط الذاتي والتقوى العملية. أما على مستوى الجماعة، فتُسهم تصورات النجاة في ترسيخ الروابط الاجتماعية من خلال الممارسات الطقسية، كالصلوات الجماعية، وصيام رمضان، وحج البيت الحرام، التي تعزز الوحدة والانسجام بين أفراد المجتمع.

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م، ص٦٧.

(٢) الغماري، عبد الله بن محمد. التحقيق الباهر في معنى الإيمان باليوم الآخر، تحقيق: عبد الله الأنصاري، قطر، ص٨٧.

كما تؤثر هذه التصورات في بناء الهوية الدينية، وترسيخ الانتماء للطائفة أو المذهب، فتتبلور بذلك مظاهر ثقافية مميزة تتجسد في الاحتفالات الدينية، والطقوس الخاصة، والموروثات الدينية التي تنتقل عبر الأجيال. وبالإضافة إلى ذلك، تعمل هذه المفاهيم على صياغة أنظمة قانونية وأخلاقية مستمدة من الشريعة، تؤثر في التشريع وتنظيم العلاقات الاجتماعية.

من هنا، يتضح أن البُعد الأنثروبولوجي للنجاة والخلاص في المذاهب الإسلامية يتعدى المفهوم النظري ليصبح قوة فاعلة في تشكيل بنية المجتمعات الإسلامية وهويتها، حيث يتكامل البُعد الروحي مع البُعد الاجتماعي والثقافي في إطار ديناميكي مستمر.(١)

ب. الطقوس الدينية المرتبطة بالخلاص في المذاهب الإسلامية.

تلعب الطقوس الدينية دورًا جوهريًا في تمثيل مفهوم النجاة والخلاص في المذاهب الإسلامية المختلفة، حيث تجسد هذه الممارسات التعبير العملي عن الإيمان والارتباط بالله، وتعمل كوسيلة لتحقيق التقرب إليه وبلوغ الرضى الإلهي، الذي يُعد مفتاح النجاة.(٢)

في المذهب السني، تبرز الطقوس كالصلاة، الصيام، أداء فريضة الحج، والذكر الجماعي، التي تُعتبر أركانًا أساسية تعزز العلاقة بين العبد وربه، وترسخ فكرة أن النجاة لا تتحقق إلا بالالتزام الشرعي والعمل الصالح. كما يُعطى للزكاة دور اجتماعي وديني مهم في تطهير النفس وتحقيق التكافل بين المسلمين.

أما في المذاهب الشيعية، فإن الطقوس تأخذ أبعادًا إضافية مثل زيارة الأضرحة، إحياء ذكرى استشهاد أهل البيت، خاصة في عاشوراء، حيث تُعتبر هذه الممارسات وسيلة للاتصال الروحي وتحقيق شفاعة الأئمة، مما يعزز الأمل في النجاة والخلاص من خلال الوساطة الإلهية.

وفي الصوفية، تُركز الطقوس على ممارسة الذكر الجماعي، والتأمل الروحي، والسلوكيات التصوفية التي تهدف إلى تزكية النفس وفناء الذات في الله، وهي تمثل مسارًا داخليًا نحو الخلاص الروحي والتحرر من الذات.(٣)

(١) محمد سيد طنطاوي. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، ط١، ص٢١.

(٢) محمد بن جرير الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ص٤٣.

(٣) محمد بن جرير الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، ٢٠٠١م، ص٧٨.

وبهذا، تشكل الطقوس الدينية في المذاهب الإسلامية تعبيرًا ملموسًا عن العقيدة المتعلقة بالنجاة والخلاص، حيث تتداخل الأبعاد الفردية والجماعية، الروحية والاجتماعية، لتعزيز فهم الإنسان لعلاقته بالله وللحياة بعد الموت.

ج. تمثيلات الخلاص في الثقافة الإسلامية الشعبية.

تتجلى تمثيلات مفهوم الخلاص في الثقافة الإسلامية الشعبية من خلال مجموعة متنوعة من الممارسات، الرموز، والقصص التي تعكس تصورات الجماهير عن النجاة والرحمة الإلهية، وتتجاوز أحيانًا الحدود الصارمة للنصوص الشرعية لتشكل بُعدًا ثقافيًا غنيًا ومتفاعلًا مع الحياة اليومية للمؤمنين.(١)

في هذه الثقافة، تتنوع الوسائل والطقوس التي يُعتقد أنها تساهم في تحقيق الخلاص، مثل قراءة الأذكار والأدعية، واستخدام التمائم، والزيارة إلى المزارات الدينية، التي يُعتقد أن لها تأثيرًا وقائيًا وشفائيًا، إضافة إلى تعزيز الأمل في النجاة من العقاب والبلاء. كما تلعب القصص الشعبية، والأساطير الدينية، دورًا في نقل مفاهيم الخلاص بطريقة مبسطة وشائقة، تُرسخ القيم الأخلاقية والدينية بين أفراد المجتمع.

يُلاحظ أيضًا في الثقافة الشعبية اهتمام خاص بأعمال البر والصدقة كوسائل لضمان الرحمة الإلهية والفوز بالخلاص، مع تأكيد على أهمية النية الصادقة والالتزام الأخلاقي. وتُظهر هذه التمثيلات قدرة الثقافة الإسلامية الشعبية على استيعاب وتحويل الأفكار العقدية إلى ممارسات يومية ملموسة تساعد الفرد على التعامل مع تحديات الحياة ومخاوف الموت.

وبذلك، تعكس تمثيلات الخلاص في الثقافة الإسلامية الشعبية تفاعل الدين مع الواقع الاجتماعي والثقافي، مما يبرز حيوية الإيمان وديناميكيته في حياة الناس بعيدًا عن النصوص الرسمية، ويؤكد على بُعد الخلاص كظاهرة دينية واجتماعية متشابكة.(٢)

(١) محمد بن جرير الطبري، المصدر نفسه، ص٧٨.

(٢) وجدي، محمد فريد. دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، ص٣٢١.

الخاتمة

يُعد مفهوم النجاة والخلاص من المفاهيم الجوهرية في الأديان الإبراهيمية والمذاهب الإسلامية، إذ يشكلان ركيزة أساسية للعقيدة والعبادة والسلوك الإنساني. عبر دراسة البُعدين العقدي والأنثروبولوجي، تبين أن مفهوم النجاة والخلاص يحمل أبعادًا دينية وروحية واجتماعية وثقافية متداخلة، تعكس تفاعل الإنسان مع معاني الحياة والموت والآخرة. رغم الاختلافات في تفاصيل الشروط والممارسات، فإن هناك توافقًا على أهمية الإيمان والعمل الصالح كسبيل لتحقيق النجاة، مع اختلاف في الوسائل والتفسيرات بين الأديان والمذاهب. كما أن البُعد الأنثروبولوجي يعكس كيف شكلت هذه المفاهيم الطقوس، والعادات، والهويات الاجتماعية، مما يعزز الفهم العميق لدور الدين في حياة الإنسان. هذه الدراسة تسهم في تعزيز الحوار بين الأديان والمذاهب، وتفتح آفاقًا لفهم أعمق للتنوع الديني والفكري في مجال النجاة والخلاص.

الاستنتاجات:

١. مفهوم النجاة والخلاص يشكل أساسًا مشتركًا في الأديان الإبراهيمية رغم اختلاف التفاصيل العقدية والطقوسية.

٢. الإيمان والأعمال الصالحة يشكلان الركيزتين الأساسيتين للنجاة في جميع الأديان والمذاهب المدروسة، مع اختلاف في شروط تحقيقهما.

٣. الاختلاف في شروط الخلاص بين المذاهب الإسلامية يعكس تعددية الاجتهاد الفقهي والرؤية العقدية المرتبطة بكل مذهب وطائفة.

٤. البُعد الأنثروبولوجي يوضح أن مفاهيم النجاة والخلاص تؤثر بشكل عميق في بنية المجتمع، من خلال تعزيز القيم، وترسيخ العادات، وصياغة الطقوس الدينية.

٥. الطقوس المرتبطة بالخلاص تتنوع بين المذاهب لكنها تؤدي دورًا موحدًا في تعزيز الاتصال الروحي والهوية الدينية للفرد والجماعة.

٦. التمثيلات الشعبية لمفهوم الخلاص تعكس تفاعل الدين مع الواقع الثقافي والاجتماعي، وتبرز كيف يتحول الإيمان إلى ممارسات عملية تواكب حياة الناس اليومية.

٧. الدراسة تسلط الضوء على أهمية الحوار بين الأديان والمذاهب لفهم أعمق لمفاهيم النجاة والخلاص، ما يعزز التسامح والاحترام المتبادل في المجتمعات المتنوعة دينيًا.

المصادر والمراجع

أولاً: كتب الحديث النبوي الشريف

١. البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي. الجامع المسند الصحيح، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

٢. ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن هلال. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ.

٤. ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط١، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠هـ.

٥. السجستاني، سليمان بن الأشعث أبو داود. سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٦. الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود. مسند أبي داود الطيالسي، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، ط١، دار هجر، مصر، ١٤١٩هـ.

٧. مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري. المسند الصحيح المختصر، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ثانياً: كتب ومراجع عامة

٨. أبو زيد، بكر بن عبد الله. الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، ط١، دار العاصمة، ١٤١٧هـ.

٩. أحمد بن عبد الرحمن القاضي. دعوة التقريب بين الأديان، دار ابن الجوزي.

١٠. البهائية، دين الله واحد: النظرة البهائية لمجتمع عالمي موحد، الجامعة البهائية العالمية، ط١، ٢٠٠٧م.

١١. البهي، محمد. الإخاء الديني ومجمع الأديان وموقف الإسلام، ط١، مصر، دار وهبة، ١٩٨١م.

١٢. جمال الدين، هبة. الديانة الإبراهيمية وصفقة القرن، الدار المصرية اللبنانية.
١٣. حسن، إسماعيل علي. الإبراهيمية بين خداع المصطلحات وخطورة التوجهات، المسار للدراسات الإنسانية.
١٤. ظهير، إحسان إلهي. البهائية: نقد وتحليل، دار الإمام المجدد، ١٩٨٧م.
١٥. عناية، عز الدين. الأديان الإبراهيمية: قضاياها الراهنة، ط١، دار توبقال، المغرب، ٢٠١٤م.
١٦. النجار، عامر. البهائية وجذورها البابية، ط١، عين للدراسات، ١٩٩٦م.
١٧. السقار، منقذ بن محمود. الحوار مع أتباع الأديان: مشروعيته وآدابه، رابطة العالم الإسلامي.
١٨. هبة جمال الدين محمد العزب. الدبلوماسية الروحية والمشترك الإبراهيمي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٢١م.

ثالثاً: الدوريات والمقالات العلمية
١٩. أبو حشيش، يوسف. الإبراهيمية وآثارها على المجتمعات العربية والإسلامية، المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، العدد ٤٢٧، ٢٠٢٢م.
٢٠. كيسويتر، ألن، وشاين السقف، جون. الدبلوماسية والدين: البحث عن مصالح مشتركة، معهد بروكنجز، ٢٠١٣م.
٢١. رضوان، السيد. الديانات الإبراهيمية من الاختلاف إلى الائتلاف، مجلة التفاهم، العدد ٦٣.

رابعاً: مراجع فكرية وتأصيلية ومعاصرة
٢٢. البيضاوي، عبد الله بن عمر. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر.
٢٣. ابن عربي، محيي الدين. ترجمان الأشواق، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.
٢٤. ابن الجوزية، ابن قيم. تفسير القرآن الكريم، دار ومكتبة الهلال، ط١، ١٤١٠هـ.
٢٥. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٦. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي بن محمد ناصر وآخرين، دار العاصمة.
٢٧. الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ.
٢٨. الحلاج، آلام. آلام الحلاج، ترجمة: الحسين مصطفى، شركة قدمس، لبنان.
٢٩. داود عجك، بسام. الحوار الإسلامي المسيحي، دار ابن قتيبة، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
٣٠. دراز، محمد عبد الله. دستور الأخلاق في القرآن، ترجمة: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة.
٣١. ديورانت، وِل ديورانت. قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٨م.
٣٢. سعد ظلام. رجاء جارودي وإسلام أبيض، دار نهضة الشرق، ١٩٩٧م.
٣٣. شعبان البركاتي، الشحات. الولاء والبراء في الإسلام، دار الدعوة الإسلامية، ط١، ١٤٣٣هـ.
٣٤. عبد الرحمن، أحمد. جاذبية الإسلام الروحية، مكتبة وهبة، ط١، ٢٠٠٩م.
٣٥. عبد الوهاب شاكر. دور يهود الولايات المتحدة الأمريكية في دعم الحركة الصهيونية، الهيئة العامة للكتاب، ٢٠١٤م.
٣٦. عزت بيجوفيتش، علي. الإسلام بين الشرق والغرب، ترجمة: محمد يوسف عدس، دار الشروق، ط٢، ٢٠١٣م.
٣٧. عنايت خان، حضرة. تعاليم المتصوفين، ترجمة: إبراهيم استبولي، دار الفرقد، ط٢، ٢٠٠٨م.
٣٨. الغزالي، محمد. تراثنا الفكري في ميزان العقل والشرع، دار نهضة مصر.
٣٩. القرطبي، محمد بن أحمد. الجامع لأحكام القرآن، دار الشعب، القاهرة.
٤٠. ابن جزي، محمد بن أحمد. التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم، ط١، ١٤١٦هـ.
٤١. ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م.
٤٢. الغماري، عبد الله بن محمد. التحقيق الباهر في معنى الإيمان باليوم الآخر، تحقيق: عبد الله الأنصاري، قطر.

٤٣. محمد سيد طنطاوي. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، ط١.
٤٤. محمد بن جرير الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.
٤٥. محمد بن جرير الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، ٢٠٠١م.
٤٦. وجدي، محمد فريد. دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت.